الملكيون

بطريركيتهم الانطاكية، ولغتهم الوطنية والطقسية

بقلم المنوري اسحق ارملة السرياني

القسم الثاني

لغتهم الوطنية والطقسية

اولاً: لغة الملكيين الوطنية

اجمع ثقات المؤرخين واللغويين، شرقيين وغربيين، على ان الآرامية السريانية التي تفرّد بها بنو آرام، خامس ابناء نوح[1]، كانت لغة اهالي ما بين النهرين[2] وسورية[3] عامةً. ثم اصبحت اللغة الرسمية في دولتي آثور وبابل، بعد اضمحلال لغتهما الاكادية الاصلية[4]، ولغة الدولة الفارسية منذ عهد ارطحشت[5]، ولغة اليهود الدارجة في فلسطين[6] بعد الجلاء البابلي، اعني منذ القرن السادس قبل التاريخ المسيحي. وقد عرفها المصريون ايضاً كما برهنت المدارج الآرامية المكتشفة في اسوان[7]. ولم يجهلها العرب انفسهم[8].

وقرّر اولئك الكتبة الأعلام ان دانيال النبي كتب سفره بالآرامية حتى الاصحاح السابع. وبهذه اللغة الجليلة اثبت العبارة التي كتبتها يدٌ خفية على جدار قصر بلطشّر، وهي مَنا. مَنا. تَقَل ... منهم: منا. منا. تقل

---

١) تكوين ١٠: ٢٢

٢) تك ١٥: ٢، و٢٤: ١٠، و٢٨: ٥، و٣١: ٢٠ – ٢٤ – ٤٧

٣) ٤ ملوك ١٦: ٦ – –

٤) ٤ ملوك ١٨: ٢٦، ودانيال ٢: ٤، و٥: ٢٥

٥) عزرا ٤: ٧

٦) عزرا ٧: ١١ – ٢٦

٧) المشرق ١٠ [١٩٠٧] ٦٧٢، فقد صرّح بان الآرامية كانت لغة ديوان الدولة المصرية.

٨) الاب لامنس في المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٨٤

وفرسين (دانيال ٥ : ٢٥) . ونهج نهجه عزرا الكاتب اليهودي فكتب بالآرامية سفره ، منذ الآية الثامنة من الاصحاح الرابع حتى الآية ٢٧ من الاصحاح السابع . وبهذه اللغة الشريفة تكلّم السيد المسيح ، عزّ شأنه ، هو ووالدته ، ورسله[١] . وظلّت الآرامية دارجة في اورشليم حتى القرن الرابع[٢] للتاريخ المسيحي.

اما اليونانية فقالوا انها غدت اللغة الرسمية في الدولة اليونانية الشرقية، منذ عهد الاسكندر الكبير (٣٢٣ ق.م.) ، الذي استحضر الى البلاد التي دوّخها جالية يونانية متثقّفة باصناف العلوم ، وفرّض اليها ان تدرّس تلك اللغة الجليلة ، وتذيعها ، خصوصاً في انطاكية وبيروت ودمشق والرها ، وما بين الطبقة الراقية. وهذا ما حمل الكتبة الاوّلين ، وفي مقدّمتهم آباؤنا الرسل ، ان يكتبوا باليونانية اسفار الاناجيل والرسائل وسائر مصنفاتهم كبولس الرسول[٣] ، ولوقا الانجيلي الطبيب الانطاكي النحلة[٤] ، ثم يوسيفوس اليهودي الذي كتب في اليونانية والسريانية[٥] ، وعدد عديد من الآباء ، مع ان لغتهم الوطنية كانت الآرامية. يدل على ذلك ابقاؤهم في نص نقولهم اليونانية[٦] الفاظاً وتعابير

---

١) كتب اوسابيوس في مؤلفه (... = الظهور الالهي)، الذي فُقد اصله اليوناني وحُفظ نقله السرياني : ان السيد المسيح اصطفى « رجالا جليليين لا يعرفون الا السريانية لاعطاء الشهادة ولا يعرفه سكان هذه الارض غيرها » . مخطوط لندن ١٢١٥٠ المنسوخ في السنة ٤١١ م.

٢) اثبت مؤلفة كتاب « حجّ الاراضي المقدسة » : « ان في فلسطين في القرن الرابع قوماً يحسنون اليونانية والسريانية ، وقوماً يحسنون اليونانية فقط ، وقوماً يحسنون السريانية فقط . » (الليترجيات لسيد البطريرك رحماني ١٦٠ ؛ والمشرق ٣[١٩٠١] ١٠٨٥)

٣) اعمال الرسل ٢٢ : ٢

٤) اوسابيوس ٣ : ٤ ، والمشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٢٧

٥) اوسابيوس ٣ : ٩

٦) مما يدل على نبوغ السريان واماتهم في النقل من اليونانية الى السريانية ابقاؤهم ، في نصوص العهد الجديد، الفاظاً يونانية متحفة بدوائر الحكومة كانت دارجة في ذلك الزمان نحو ... فرقة ، ... جندي ، ... حاكم ، ... قائد مائة ، ... امير ، ... دار الولاية الخ.

سريانية. نذكر منها : برابا ، برطيما ، بريونا ، برنابا ، برسابا ، رابي ، رابوني ، كيفا ، مارتا ، شاول ، شفيرا ، شيلا ، طابيثا الخ . ومنها : حقل دما ، بيت صيدا ، بيت حسدا ، كفر ناحوم ، دلمانوثا . ومنها : اوشعنا ، افثح ، طليثا قومي ، إيلي إيلي لَما شبقتاني ، ماران أتا الخ . على ان آباءنا الرسل والكتبة من بعدهم لم يكتبوا باليونانية ما كتبوا الا للقرّاء والعلماء . اما العامة ، وهم الاغلبية الساحقة ، فكانوا يبلغونهم الكرازة المثمرة والتعاليم المسيحية باللغة الوطنية ، اعني الآرامية السريانية .

ومما لا اشكال في صحته ان الآرامية والسريانية لفظتان مترادفتان وان تعدّدت لهجاتها . وان لفظ سوري او سرياني اصبح غالباً ، بعد عهد الانجيل ، نائباً مناب الآرامي[1] . وقد عُرف لفظ سوري بمعنى سورية منذ عهد نبوكد نصّر (٦٠٥ — ٥٦١ ق. م.)[2] . ثم اثبته الكتاب المقدس[3] مراراً بالالف هكذا (ܐܪܡ̈ܐ سوريا) . ونقله العرب عن السريان لا عن اليونان فقالوا « سوريا » ، ولم يكتبوا سيريا او اثوريا او اشوريا او صوريا كأنه منسوب الى سيري او آثور او اشور او صور، كما ادّعى فريق من المستشرقين وفي مقدّمتهم دينان الفرنسي .

وقولنا ان الآرامي مرادف للفظ سوري او سرياني يؤيده ما ورد عن نعمان ، رئيس جيش ملك آرام[4] ، فقد ترجمه النقلة بلفظ سوري او سرياني او نباطي[5] او شامي . زد عليه ان ترجمة الكتاب المقدس السريانية ، المشهورة بعنوان (ܦܫܝܛܬܐ صورة الكتاب) التي يرتقي عهد كتابتها الى القرن الثاني ، ثم أطلق عليها بعد القرن الثامن لفظ (ܦܫܝܛܬܐ البسيطة) ، قد جعلت

١) اوسابيوس في كلامه عن برديصان الرهاوي (٤ : ٣٠) .

٢) ورد في سفر يهوديت ١ : ٣ حدرخ وهو سكّان سوري اعني سوريا .

٣) مثا ٣ : ١٢ ، و٧ : ٢٩ ، و١٠ : ٦٩ ، و٢ مثا ٣ : ٨ ، و٤ : ٤ الخ

٤) ٤ ملو ٥ ؛ ولو ٤ : ٢٧

٥) النبط قوم كانوا يتنقلون بين البراقين ، وكانت الآرامية السريانية لغتهم الوطنية . وقد اثبت مترجم انجيل الدياطسرون لفظ نباطي بدلا من الآرامي السرياني (طبع الاب مرمرجي ١٦٨) .

اسم «آرامي» عامًّا شاملًا لجميع الامم غير اليهودية[1] ، كما ان الترجمتين اليونانية واللاتينية جعلتا بدلًا منه اسم «يوناني» . غير انه ، على حاول السرياني محل الارامي ، فقد ظلَّ فريق صالح من كتبة السريان وغيرهم يستعملون لفظ الآرامي بدلًا من السرياني الى هذا العهد[2] .

يستخلص مما سبق ان الشعوب الآرامية قاطبةً ، سواء اكانوا في بلاد ما بين النهرين ام في سورية ام آثور وبابل وغيرها ، أسماوا ، منذ تنصّرهم ، اسمهم الآرامي القديم ، واستأثروا باسم السوري او السرياني[3] . ذلك لانهم ، على ما قرّره المدقّقون ، انضمّوا الى الايمان المسيحي على يد آبائنا الرسل الذين واقوهم من فلسطين وسورية ، وبلّغوهم الكرازة المسيحية باللغة السورية السريانية . ويؤيد ذيوع السريانية وسيورتها في سورية خصوصاً ثلاث حجج دامغات خالدات لا تقبل تأويلًا ، وهي :

الحجة الاولى الخالدة : اسماء القرى الباقية لهذا العهد في لبنان ، وضواحي دمشق ، وحلب ، وانطاكية عينها . ولما كان العلّامة المدقق السيد اقليميس يوسف داود قد اشبع الكلام في كتابيه « القصارى » ، و « النحو » ، عن قرى لبنان ودمشق ، فقد اكتفينا لتفنيد زعم من ادّعى بان الملكيين ليسوا متسلسلين من عنصر سرياني ، او ليسوا سريانًا لغةً وطقسًا ، او ان اهالي انطاكية خصوصاً لم يكونوا يتكلّمون بالسريانية ، أن نُثبت اسماء بعض القرى الباقية آثارها الى هذا اليوم في ضواحي انطاكية نفسها[4] ، وهي اسماء

---

١) اعمال ١٩ : ١٠ ، و٢٠ : ٢ ؛ ورومر ١ : ١٦ ، و٢ : ٩ ، و١٠ : ٢ ، ؛ و١ قور ١ : ٢٢ — ٢٤

٢) مير يعقوب السروجي في تقريظ مار افرام . وابن العبري في كتاب اللمع وغيره .

٣) من الغريب ان نون النسبة المختصة باللغة السريانية ، والدخيلة في العربية ، لم يثبتها السريان في اسمهم هذا ، بل قالوا سمعوسما بالياء ، ولم يقولوا سمعوسما بالنون . ومن المعلوم ان النون في قول العرب : برّاني ، جوّاني ، روحاني ، نصراني ، رهباني الخ . شاذة عن قواعد الصرف العربية . فهي منقولة عن السريانية ، بلا ريب .

٤) نقلنا الاسماء التالية عن كتاب « نهر الذهب في تاريخ حلب » لكامل الغزي .

سريانية بحتة . منها : كفر رمّان ، كفر بيل[1] ، كفر عويد ، كفر طاب ، كفر ياسين الخ . باسكان الكاف طبقاً للوضع السرياني . ومنها : معّر ماتر ، معّر زيتا ، معّر شمشا الخ . باسكان الميم . ومنها قرى في ضواحي جبل سمعان بجوار انطاكية نحو : جبرين ، دير نتا ، تل نصيبين ، دير صليب ، تل جبين ، زمّار ، سريتين ، كفر حمرا ، كفر توثا الخ . ومنها قرى في قضاء حارم ، بين حلب وانطاكية ، نحو : كفر حانا ، كفر مو ، عيريثا ، باريشا ، سرمدا[2] ، طورلاها[3] ، قرقنيا ، تومانين ، تل عدا[4] ، تل عقبين ، عيندايا[5] الخ . ومن ذلك ايضاً اسماء ١٢٤ ديراً في سورية الجنوبية اثبتها مخطوط لندن ١٤٦٠٢ السرياني ، وعدّد اسماء رؤسائها واحداً فواحداً . وذكر انهم اجتمعوا ، عام ٥٦٧ م ، في دير مار بس بانطاكية ، فأمضى ١٠٦ رؤساء اسماءهم بالسريانية ، و١٨ رئيساً فقط وقعوا اسماءهم باليونانية .

ومما يستحق الذكر ان اليونان ، على ما افرغوه من الهنة في ترويج لغتهم ، ومعها اطلقوه من الاسماء اليونانية على بعض المدن السورية كانطاكية وطرابلس واللاذقية وغيرها ، فقد بقي من هذا القبيل عدّة مدن ظلّت الى هذا اليوم معروفة باسمائها السريانية الاصلية وكادت تضيع او ضاعت اسماؤها اليونانية الدخيلة . حتى اننا لو شئنا الآن ان نخزر اسماءها اليونانية لزمنا ان نراجع لاجلها معاجم اعجمية غريبة .[6]

---

١) ورد في مخطوط لندن ١٧ السرياني اسم دير مار دانيال في كفريل بكورة انطاكية .

٢) سرمدا : قرية قريبة من تومانين فيها ستة اعمدة نرى تُرف باعمدة سرمدا . وكان فيها للسريان دير على اسم اسطفانا (مخطوط لندن ٧٥٤) وكتبة شادها ايليا بطريركهم (٧٠٩ — ٧٢٣) .

٣) طورلاها : قرب دير صليبا قيلتا ، بكورة انطاكية (مخطوط لندن ٦٢٦) .

٤) تل عدا : كان في تلّ عدا دير للسريان شُرف بالدير الكبير (مخطوط لندن ٧٥١) تخرّج فيه عددٌ صالح من الكتبة المشاهير .

٥) وطن يعقوب الرهاوي (ت ٧٠٨) المشهور .

٦) ان اليونان سمّوا بطلك هليوپوليس ، وبيروت دربي ، وجبيل بيبلوس ، وتدمر پلميرا ، وحلب بيروا ، وعكا پطولمايس ، ومنبج ايروفليس ، والرها ادسا ، والرصافة

الحجة الثانية الخالدة هي : اللهجة العامية[1] المتغلّبة حتى اليوم ، والراسخة في ألسنة السوريين قاطبةً مسيحيين وغير مسيحيين . ذلك كله على رغم ما افرغه العرب من الجهد والضغط في تعميم لغتهم وتجويد التلفُّظ بها . نذكر من ذلك :

١ً : اسكانهم آخر الفعل الماضي اعتباطاً في الغائب والمخاطب والمتكلم ، طبقاً للوضع السرياني نحو : قامْ وقعدْ ، باعْ وربحْ . ثم : عملتْ كتير ، كتبتْ كما كتبْ لك ، ضربني المعلّم ، درستْ درسي الخ.

٢ً : اسكان كاف المخاطب والمخاطبة في الوقف نحو : حبَسَكْ وحبَسِكْ ، علّمَكْ وعلّمِكْ ، قابلَكْ وقابلِكْ الخ . وقس عليه : عليكْ ، منكْ ، فيكْ الخ.

٣ً : اسكان الهاء والكاف في الفعل المتعدّي كقولهم : اشتريتُكْلُهْ ، علّمناكْ امثولتكْ ، رأيناكْ بعينا الخ.

٤ً : اسكان اول الماضي والامر والنهي خصوصاً في وزني تفعّل وتفاعل مذكّرًا ومؤنثاً نحو : تْقدّم ، تْقرّب ، تْساهل ، تْقدّمي ، تْقرّبي ، تْساهلي ، لا تْجادل ، لا تْجادلي الخ.

٥ً : اسكان اول المضارع خصوصاً في الفعل الاجوف نحو : يْصير ، يْقول ، ما يْدوم ، ما يْقوم ، حتى يْشوف الخ.

٦ً : اسكان اول اسم الفاعل والمفعول من وزن فعّل وفاعل مذكّرًا ومؤنثاً نحو : مْخلّص ، معلّم ، معْلّم ، مْبارك ، مْساعِد ، مْكرّمه ، مْباركه الخ.

٧ً : اسكان هاء الغائب في الوقف وغيره نحو : نعمتُهْ تكفيك ، صلاتُهْ معك ، سيادتُهْ تكلّم ، حضرتُهْ خطب الخ.

٨ً : لفظ التاء المربوطة مثل ة الفرنجية او الكسر السرياني نحو : رَحيمِهْ ، نعيمِهْ ، بطركيّهْ ، طوباويّهْ الخ ، فتُلفظ rahmé الخ.

٩ً : لفظ الضمّ العربي كالضم السرياني او مثل o الفرنجي نحو : هُم ،

سرجيوپوليس ، والرقّة قلنيقوس ولاذليوفوليس ، وراس العين ثاودوسيوپوليس ، وميافرقين مرتيروپوليس ، وتل موزل انطيغوليس الخ . ومع هذا فقلّ من استعمل اسماءها اليونانية .

(١) الفصارى للسيد اقليميس يوسف داود (١٧-٢٥) .

منهُم ، لكُم ، عنكُم الخ. فتُلفظ hom بدلاً من houm الخ.

١٠ : لفظ الكسر ايضاً في قولهم : فيهم ، عليهم ، من اجلهم الخ . فيلفظونها fihêm بدلاً من fihim الخ.

١١ : الابتداء بالساكن في قولهم : تدوم بخير ، صغير ، كبير ، مليح، كبار، صغار . وقس عليه امكان باء الجرّ نحو : بعينهُ ، بفرش ، بخمسين بارة ، براس مالهُ.

١٢ : امكان ثاني المتحركين نحو : كِلِمهْ ، حطبهْ ، خشبهْ، قضيبهْ الخ فتُلفظ kilmé كالوضع السرياني الخ.

١٣ : قلب الميم نوناً في الغائبين والمخاطبين نحو : ايوهم ، كتابكم ، فيلفظونها : ايوهن ، كتابكن الخ.

١٤ : استعمال ضمير العاقل لغير العاقل خصوصاً في المكاتيب التجارية كقولهم :« قرَينا مكاتيبكم كلّهم ، والبضايع الذين طلبناهم وصلوا سالمين ، والصناديق وجدناهم مفتوحين». وقس عليه اثبات الفعل مجموعاً جمعاً مذكوراً قبل فاعله المجموع سواء أكان الفاعل عاقلاً ام غير عاقل نحو :«قالوا الاباء القديسون. وقرّروا المجامع المسكونية » الخ.

١٥ : اللفظ ساكنين في قولهم :خالتك، عمّتك ، عِلّيتك ، حكايتك الخ.

١٦ : لفظ العدد المركب كالسريان نحو : تلتّعشر ، اربتّعشر ، سبتّعشر، تستعشر ، باخفاء العين في اربعة وسبعة وتسعة الخ.

١٧ . لفظ العقود بالجرّ او النصب دائماً كالسريان نحو : عشرين ، ثلاثين، تسعين الخ . لا : عشرون ، ثلاثون ، تسعون الخ.

١٨ : لفظ تنوين الرفع والجرّ كاللفظ السرياني نحو : أكلٌ ، شربٍ ، خيرٌ ، شرٍّ . فيلفظونها aklon ، chirben بدلاً من akloun ، chirbin الخ.

١٩ : عدّة اسماء مصدرية موزونة وزناً سريانياً لا اثر له في العربية الفصحى نحو : معمودية ، مسؤولية ، مشروطية ، محسوبية الخ.

٢٠ : الجمع بالتاء الطويلة خصوصاً في لبنان وحلب نحو : جبّات ، لبنات ، لحمات ، ميّات ، بطّلات ، زيتونات الخ.

٢١ : اضافة اسم مقرون باللام الى ضمير سابق مقرون باللام ايضاً نحو : قلت لهُ لصاحبك ، حبسناه للسجرم ، أكلهُ لحتك الخ.

وما عدا ذلك كلّه ، فان السوريين ما برحوا يستعملون ، في لغتهم العامية ، افعالاً واسماء جمة هي سريانية بحتة نحو : دقر الباب ، دلف السقف ، فقع من الضحك الخ. ونحو : بكير ، لقيس ، سبّة اي اسبوع ، شوب ، نيشان الخ. وهذا كثيرٌ وكثيرٌ جدًّا يصعب احصاؤه.

الحجة الثالثة الخالدة: نقلُ العرب عن السريان افعالاً واسماء سريانية محضة[1]، اغلبها دينية، وإدماجهم اياها في افصح كتبهم ، حتى انهم اصبحوا لا يستطيعون الى الاستغناء عنها سبيلاً. وهي كثيرة نذكر منها من الافعال: آمن ايماناً وامانة ، بارك بركةً ، بشر بشارةً ، بنى بنياناً ، أزلَّ اي اخرج ، تاب توبةً ، دان دينونةً ، سبّح تسبيحاً وتسبيحةً ، سجد سجدةً ، صلّى صلوةً ، صام صوماً وصياماً ، قدّس قداساً ، قرّب قرباناً ، كفّر تكفيراً ، تنبّأ نبوءةً ، نذر نذراً الخ . ومن الاسماء السريانية صفات الله جلّ جلاله نحو : الله ، اللهم ، باري ، توّاب ، ديّان ، سبّوح ، قدّوس ، قيّوم ، مهيمن ، مسيح ، روح القدس ، قديس الخ . ومن الالفاظ السريانية : آية ، بسيط اي اعتيادي ، رجز ، ديوان[2] ، سيّارة ، طور ، طوفان ، عتيقة ، حديثة ، عروبة ، عيد ، فرقان فاروق ، قرية ، مدينة ، مسكين ، مقاليد ، ملفان ملفنة ، نبراس ، يمّ ، والسلام بمعنى ختام. ومنها اسماء اشجار او ثمار نحو : رمان ، زيتون الخ. ومنها الفاظ مختومة بالتاء الطويلة نحو: جبروت ، رحموت ، رهبوت ، ملكوت ، لاهوت ، ناسوت ، طاغوت الخ. ومنها النسبة بالنون كما قلنا نحو : جسداني ، جسماني ، حقّاني ، روحاني ، ربّاني الخ. وتأنيثها نحو جسدانية ، حقّانية الخ.

---

١) من شاء الاطلاع على الافعال والاسماء السريانية المدرّجة في اللغة فليراجع كتاب المستشرق فرنكل الالمانيّ المطبوع في ليدن ، عام ١٨٨٦ ، ومحاضرات المستشرق الايطالي اغناطيوس غويدي المطبوعة في مصر ، عام ١٩٠٩ ، والمشرق في اعداد السنة ١٩١٣

٢) الديوان في الاصل يراد به المجنون من وهمهُ في السريانية ، استعاره الفرس ، وعن الفرس نقله العرب (مقدمة ابن خلدون ، صفحة ٣٤٢ ، من طبع المطبعة الادبية).

فهذه الافعال باسرها وهذه الاسماء برمتها سريانية محضة ، انتحلها العرب وعربوها واضافوها الى لغتهم . وقس عليها اسماء الاعلام ، فانهم ، اعني العرب ، ما نقلوها عن اليونانية بل عن السريانية فكتبوا : اسحق ، اشعيا ، اليشع ، حزقيال ، عاموس ، هوشع ، يوسف ، يعقوب ، يوحنا ، مريم ، حنة الخ . وعليه فقد صدق من قال ان اهالي سورية قاطبة كانوا يتكلمون بالسريانية قبل عهد الاسكندر . ولما فتح الساوقيون البلاد ظلّت السريانية اللغة الدارجة فيها[1] . وممّا أضيفت الى لغتهم الاصلية لغة يونان وعروبة ، فقد ظلّت لهجتهم العامية في اغلب كلامهم لهجة سريانية بحتة .

زد عليه ان طلّاب العلم السريانيين وأدباءهم عكفوا على اقتباس اليونانية منذ القرن الرابع قبل الميلاد[2] عكوفهم على اقتباس لغتهم السريانية الوطنية . فكانوا يدرسونها ويدرّسونها في معاهدهم العامرة واديارهم الزاهرة بانطاكية ، وبيروت ، وطرابلس ، ودمشق ، والرها ، ونصيبين ، والمدائن ، وقنسرين ، ورأس العين ، وطور عبدين ، وغيرها . وكانت تلك المعاهد تضمّ بين جدرانها مئات بل ألوفاً[3] من الطلبة دينيين ومدنيين . وكان فريق منهم يقصد الاسكندرية حبّاً لاتقان اليونانيـــة . بل ان كتبة السريان زاحموا كتبة اليونان الشرقيين وساجلوهم ونقلوا تصـانيفهم في اللاهوت ، والفلسفة ، والمنطق ، والطب ، والتاريخ ، والهندسة ، والفلك الخ . الى السريانية ، واضافوا اليها شيئاً من نفثات اقلامهم كتآليف فرفوريوس الصوري الفيلسوف[4] ، وديمستالية الرسل ، وقوانين المجامع ، وغيرها . ومن تلك التصانيف ما ضاع اصله اليوناني ، وحُفظ نقله السرياني بفضل أدباء السريان وجهودهم[5] .

---

١) دوفال : الآداب السريانية ٤ و٥

٢) غويدي : محاضرته في مصر ٣٢ : ٨٢

٣) بلغ عـدد تلامذة مدرسة ابرهيم الربّان (٥٠٩ – ٥٦٩) الف تلميذ (تاريخ كلدو واثور ٢٧٧) . واسّس باباي (٥٥٣–٦٢٧) في اطراف مرغا وحدها ستين مدرسة (كتاب الرؤساء ١٤٦) .

٤) من ترجمة فرفوريوس السريانية نسخة في المكتبة الواتكانية رقم ١٥٨ منسوخة في السنة ٦٤٥ م .

٥) مقدمة النحو السرياني للسيد اقليميس يوسف داود ٢٢

. ويطول بنا المجال لو تحرّينا استقصاء اسماء الكتبة السريان المتخرّجين باليونانية واحصاء ما نقلوه عنها الى لغتهم السريانية[1] . ولاسيما ايبيا الرهاوي († ٤٥٧) ، وهرقليدس الدمشقي ، وزكريا الملطي ، وفولا الرقي ، وموسى الآجلي (٥٥٠) ، ويوحنا افتونيا († ٥٣٨) ، وسرجيس الراس عيني († ٥٣٦) السرياني الملكي ، اول من نقل الكتب الطبية ، والفلسفية ، والدينية ، عن اليونانية الى السريانية ، ويونس الفارسي ، وآبا الجاثليق (٥٣٦—٥٥٢) ، وبطرس الرقي البطريرك (٥٣٨ — ٥٥١) ، ويوحنا اسقف اسيا (٥٨٥) ، وتوما الجرقلي (٦١٦) ، وساويرا سابخت (٦٤٠) ، واثناسيوس البلدي البطريرك (٦٨٤—٦٨٨) ، وجورجي اسقف العرب (٦٨٨) ، ويعقوب الرهاوي († ٧٠٨) الانطاكي النحلة الذي تولى تدريس اليونانية احدى عشرة سنة في دير اوسيونا ، قرب انطاكية[2] ، وتاوفيل الرهاوي († ٧٨٥) الماروني ناقل الياذة هوميروس اليوناني الى السريانية الخ . بل ان حملة الاقلام السريان بلغ بهم شغفهم بلغة اليونان الى نسخ نصوص الاناجيل اليونانية بحروف سطرنجيلية[3] .

ولما ملك العرب في القرن السابع استعانوا بنوابغ السريان في نقل التآليف السريانية واليونانية الى العربية ، واتخذوهم اساتذة لهم[4] . فمهدوا لهم سبل الثقافة ، ومرّنوهم على اصناف العلوم . واول كتاب يوناني فلسفي ، وهو كتاب اوقليدس ، قد نقله الى العربية الرُّهاوي فوضح حنين بن اسحق († ٧٧٣) المشهور[5] في ايام ابي جعفر المنصور (٧٥٤ — ٧٧٥) . وممن امتازوا بقوّتهم القلمية في التعريب والتصنيف آل بختيشوع السريان النساطرة ، وهم ثمانية فحول تعاقبوا

١) اطلب مقالتنا في مجلة المشرق سنة ١٩٢٠ و١٩٢١ بعنوان « آداب اللغة اليونانية وكتبة السريان » .

٢) ميخائيل الكبير ٤٤٦

٣) حصّل المستشرق بارى الانكليزي نسخة يونانية من هذا الشكل في مذبات بطور عبدين ، يرتقي عهدها الى القرن التاسع . وقد طالعنا نحن في دير الزعفران مخطوطاً سطرنجيلياً على الرق يحوي قوانين المجامع ، اثبت فيه ناسخه اسماء الاساقفة بالسريانية واليونانية .

٤) مقدّمة النحو السرياني ٣٢ ، وروبنس دوفال ٢٤٦

٥) مقدمة ابن خلدون ٤٨٠ ، و٤٨٥ ، و٤٨٦

في خدمة خلفاء بغداد زهاء ثلاثمائة سنة . ومنهم عيسى بن علي تلميذ الربان حنين ، ويشوع بن بهلول ، اللذان انشأ كل منهما معجماً سريانياً عربياً حشواه الفاظاً يونانية نجمّة. وقس على هؤلاء علماء كثيرين من السريان الغربيين والشرقيين والملكيين والموارنة ملكوا ناصية اليونانية ، فكتبوا فيها ، ونقلوا عنها تصانيف شتى حتى اواخر القرن الثالث عشر.

هكذا ظلّت اليونانية الى ايام ظهور العرب لغة الولاة ، والمتعلّمين[1] ، والتجّار فقط. ثم لغة الرؤساء البيعيين ، وفريق من المؤلفين[2] ، والقرّاء. فكان مثلها مثل اللاتينية او الفرنسية في سورية وفلسطين لهذا العهد. فكما ان العلوم اللاهوتية والفلسفية والطبية والقانونية الخ التي تدرّس في هذه المدارس والتي يتكلّم بها الحكّام والمتعصّبون الشرقيون لا تدل على ان طلّابها والمتكلّمين بها لاتينيون او فرنسيون ، هكذا قل في طلّاب اليونانية في سالف الاحقاب.

اما اسماء الاعلام اللاتينية واليونانية والفرنسية كرقس ، ولوقا ، وفيلبس ، واسطفانس ، واقليمس ، واغناطيوس ، وثوفيلس. ثم جان ، وجوزف ، وبول ، وبيير ، وادوار ، والبير ، وفكتور ، وهنري ، وماري ، واوجيني ، وهلم جرّا ، فان الاولين ما استعملوا تلك الاسماء ، كما استعملها المعاصرون ، الا ازدلافاً الى الدولة المالكة او تحبّباً الى ولاة الحلّ والعقد . أضف اليه ما اصطُلح عليه منذ القديم في فلسطين وسورية ، اذ كان يُنتخب للابرشيات العامرة اساقفةٌ من الجنس اليوناني ، او متخرّجون باليونانية. ذلك لان الخبيرين بها ، كما ان الخبيرين بالفرنسية لعهدنا ، كانوا وما برحوا يُعدّون أليق وأجدر بمثل ذلك المنصب الرفيع[3].

---

١) ابن العبري : التاريخ المدني السرياني ١١٥ ؛ وابن خلدون ٢٤٤

٢) كما ان المؤلفين اليعيين الذين عاشوا في سورية كتبوا تصانيفهم باليونانية كفم الذهب ، وثاودريط ، ونسطور ، وسويرا ، ويوحنا الدمشقي الخ ، هكذا نبغ قبلهم وفي عهدهم وبعدهم جهابذة من السريان يفوقونهم عدّاً كتبوا تآليفهم في السريانية كطيمثاوس (ت ١٨٠) وبرديصان (ت ٢٠٢) واسوان وواقله وافرهاط (٣٤٥) والامام افرام (ت ٣٧٣) ومارروثا (٤٢٠) وربّولا ، واسحق الانطاكي ، وفيلكسين المنبجي ، ويعقوب السروجي ، وز ذريا البليغ الملطي الذي درس في كلّية الحقوق ببيروت الخ.

٣) القصارى ١٦

دع تسيطر ماوك برزنطية النصارى ، وضغط اساقفتها على الرؤساء البيعيين ، واضطرارهم اياهم ان ينصبوا الابرشيات المشرق بطاركة واساقفة يونانيين جنساً او لغةً . وقد استرسلوا في هذه العادة الشاذة الغريبة حتى القرن التاسع عشر ، خصوصاً في الطائفة الملكية غير الكاثوليكية .

وجماع القول ان الملكيين السوريين ، او السريانيين المتحدرين من العنصر الآرامي السرياني ، امسوا ، كما اكد البحاثة كرلفسكي ، يتألفون مع تراخي العصور من ثلاثة عناصر : اولها العنصر السرياني البحت وهو السواد الاعظم . ثانيها العنصر اليوناني المؤلف من تجار اجانب وعساكر وموظفين برزنطيين ، وهذا اضمحل بعد الفتح العربي ودخل في خبر كان . ثالثها العنصر السرياني الوطني الذي شغل المدن الكبرى وحافظ زماناً على السريانية واليونانية معاً . اما المسلمون في سورية فليسوا في الاصل الا من السريان المنوفيزيتيين الاقدمين . وعلى بروز اسواق العربية بين اهالي سورية عموماً ، ظلت السريانية الى يومنا هذا عالقة باذهانهم ، لاصقة بألسنتهم ، خالدة في اسماء اغلب قراهم ، ومتغلغلة في افصح كتبهم .

ثانياً : لغة الملكيين الطقسية

قرر الكتبة الكنسيون عامة ان اول بيعة أنشئت في علية صهيون باورشليم ، وان اول طقس أقيم فيها باللغة السريانية . والى هذا الطقس السرياني الابوي الرسولي ترجع سائر الطقوس البيعية[1] . وهو تقرير واهن ثابت لا يجسر ان ينكره الا من انكر حقيقة الانجيل نفسه[2] . ثم قرروا ايضاً ان آباء الكنيسة ، في مفتتح عهدها ، تعودوا ان يتخذوا للطقس اللغات الدارجة في الاصقاع التي اذاعوا فيها الكرازة المنورة كالسريانية في بلاد المشرق ، واللاتينية في رومية وملحقاتها ، واليونانية في بلاد اليونان[3] . وكانت هذه اللغات الثلاث

١) معجم اللاهوت الكاثوليكي للاب ڤانييه ١٤٠٢

٢) القصارى ٥٦

٣) القصارى ٨١

من اشهر لغات البشر المعروفة في عصور الكنيسة الاولى.

فالسريان الملكيون كانوا، حتى القرن الخامس، هم، والسريان الشرقيون (الكلدان)، والسريان الغربيون (اليعاقبة)، والسريان الموارنة، طائفة واحدة خاضعة لبطريرك واحد هو بطريرك انطاكية. وكانت السريانية وحدها لغتهم الطقسية، كما كانت لغتهم الوطنية ايضا. وظلّت السريانية معروفة لديهم، مستعملة في كنائسهم الكبرى والصغرى باجمعها حتى القرن السابع عشر. يؤيد ذلك نقولٌ عديدة نكتفي منها بذكر ما اثبته ثاودريط اسقف قورش (ت٤٥٧) الخبير باليونانية والسريانية وهو: ان لغة السوريين والامم المجاورة للفرات والفلسطينيين والفونيقيين هي السريانية[1]. وجاء في اخبار فم الذهب عن سويرنس اسقف جبلة: «ان نغمته اليونانية لم تكن فصيحة بل كان اذا تكلم بها ظهرت نغمته سريانية.»[2] وكتب مسجّل اعمال المجمع المسكوني الثامن، عام ٨٦٩، ان «توما مطران صور كلّف القس ايليا ممثل ثودوسيوس بطريرك اورشليم ان يتلو تقريره في المجمع لانه لم يكن يستطيع ان يعبّر عن افكاره باليونانية. فكانت لغته بلا ريب السريانية.»[3] وفي السنة ١٠٥٩ طلب بطرس الثالث بطريرك انطاكية الملكي (١٠٥٢ — ١٠٥٧)، رجلًا كفوءًا ينقل رسالة البابا لاون التاسع (١٠٤٩ — ١٠٥٤) الى اليونانية فلم يجد. اما ثاودرس بلسمون بطريرك انطاكية الملكي (ت ١١٩٥) المشهور فقد رخّص للملكيين الجاهلين اليونانية ان يحافظوا في طقسهم على لغتهم الاصلية[4]، اعني السريانية. ذلك لانه الى عهده لم يكن يخطر ببال السريان الملكيين ان يبدّلوا كتبهم السريانية الطقسية، او ينقلوها الى اليونانية او العربية. ولما انتخب فاخوم الاول (١٣٥٩ — ١٣٨٦) بطريركًا انطاكيًا لم يوقّع الاساقفة انتخابه الا بالسريانية فقط. اما ميخائيل البطريرك الذي خلفه فانه على تضلعه من السريانية والعربية لم يكن

---

١) بين ٨٠ : ٢٢٧؛ والمشرق ٤ [١٩٠١] ١٤٨٥

٢) المتعلقات السريانية للسيد البطريرك رحماني ٣ : ٨

٣) كرلنسكي فصل ٦

٤) بين ١٣٧ : ٩٥٨

خبيراً باليونانية[1]. وقد كتب لاونس ماخيراس في القرن الخامس عشر : « ان اهالي قبرس قبل دخول اللاتين اليها كانوا يتعلّمون اليونانية لمكاتبة الامبراطور ، والسريانية لمكاتبة بطريرك انطاكية »[2].

هكذا مرّت الحقب تلو الحقب والسريان الملكيون يحافظون محافظةً امينة على لغتهم السريانية في طقوسهم حتى عهد السيد افتيموس الثاني (١٦٣٤ — ١٦٣٥) ، المشهور بابن كرمة ، فأخرج ، حين اسقفيته في مدينة حلب ، جميع كتب الطقوس الرومية الى العربية . . . لان بلاد سورية بدّلت في عهده السريانية بالعربية[3]. ومع هذا كله فقد صرّح خلفه مقار الثالث (١٦٤٧—١٦٧٢) بقوله : « اننا نستعمل اللسان اليوناني والسرياني في كنائسنا ومنازلنا »[4].

على ان السريان الملكيين سبقوا فادرجوا في طقسهم صلوات من تصانيف ابينا مار افرام[5] ، ومن تآليف مار يعقوب السروجي ، اسقف الرها ، كما سترى ؛ ومن معانيث (اغاني) سويرا ، بطريرك انطاكية (٥١٢ — ٥٣٨)[6] ، وهو برهان على انهم اخذوا تلك الصلوات قبل عهد الانفصال . ولما اصبحوا أمة مستقلة عن سائر الملل السريانية ، نقلوا شيئاً كثيراً منذ القرن الثامن عن التصانيف اليونانية الى السريانية ، واضافوه الى طقسهم القديم[7]. واشهر ذلك تآليف القديس يوحنا

---

١) المشرق ٣ [١٩٠٠] ٧٢

٢) المشرق ٩ [١٩٠٦] ٦٢٨

٣) المنتطفات السريانية ٣ : ١٢ ، وقد عدّد الاب لويس شيخو في كتابه « المخطوطات العربية لكتبة النصرانية » ٢٤ و٢٥ اخصّ الكتب الطقسية التي نقلها السيد افتيموس كرمة منها الاورلوجيون والافخولوجيون والاعداس والتيبكون والفنداق والسنكسار والاستشراري ، كما ذكرنا ذلك في ترجمته .

٤) المشرق ٧ [١٩٠٤] ٨٠٢

٥) منها صلاة « ايها الرب سيد حياتي » يتلوها الملكيون الى هذا اليوم في الساعات الغانونية ، ويقسمونها ثلاثة اقسام (الاب هايل كوتيريه ٢ : ٣٥) .

٦) منها صلاة « اهلنا يا رب لهذا المساء وبنير خطيئة احفظنا » يتلوها الملكيّون ثلاث مرار (الاب كوتيريه ٢ : ٢٨ ؛ وكتاب السواعية طبع الشوير ١٠٦ و٣٠١ و٣٢٨) وهذه الصلاة يرتلها السريان في صوم الاربعين وبدونها : اهلنا الخ حتسمعب هذا حلا .

٧) نقل السريان ايضاً عن اليونانية قوانين شتى من تآليف مار يوحنا الدمشقي وقزما

الدمشقي (٧٤٩ †) ، وسرجيوس († ٦٤١) ، ورومانس († ٩٦٤)، ويوسف ، وقزما ، واندراوس ، اسقف اقريطش ، وثاودور الستودي († ٨٢٦)، وانسطاس رئيس دير طورسينا ، وثاوفينس ، ولاون الفيلسوف ، وباسيليوس ملكي بزنطية ، ويوحنا الدلمي ، وجرجس ، واغناطيوس ، واسطفانس ، وسمعان المفتر ، واندراوس الاعمى ، ومرقس الاسقف ، وكاسيا وكاسيانا الراهبتين ، وايرينا الملكة الخ.

وكان السريان الملكيون يحرصون على كتب اجدادهم الصالحين حرصهم على اثمن تراث . ولولا ما انتاب مصاحفهم القديمة من الآفات الهائلة ، والعوائل القتالة كالزلازل والحريق والنهب والتلف والسرقة والحروب ، خصوصاً في انطاكية ودمشق عاصمتي الشرق ، لبقيت من تلك الكنوز الكتابية الثمينة بقيّة صالحة كشفت القناع عن احوال الطقس السرياني الملكي وتطوراته . وحسبنا ما احرقته يد الجهل في عهدنا من المخطوطات السريانية الملكية الوافرة المكتوبة على رقّ الغزال ، اذ خبز عليها الراهبات في دير صيدنايا خبزتين كبيرتين استغرقت كل خبزة ثلاثة ايام كاملة ليلاً ونهاراً . هذا ما عدا ما اتلفته تحت القناطر[1] . وناهيك انه اذا كانت مخطوطات دير واحد للسريان الملكيين في قرية من قرى دمشق بالغة هذا الحدّ من الكثرة ، فما قولك عن مخطوطات اديارهم القديمة العامرة وكنائسهم المشهورة الوافرة ومدارسهم العديدة الزاهرة ، لا في سورية وفي عاصمتيها دمشق وانطاكية فحسب ، بل في جميع البلدان التي كانت خاضعة للكرسي الانطاكي !

ومع هذا كله فقد صانت مكاتب اوربة الشهيرة ، وبعض مكاتب بلاد المشرق الخصوصية ، تركةً صالحةً من تلك الجواهر اليتيمة هي اكبر حجة على

وغيرها واثبتوها في صلوات المواسم الكبيرة وآحاد القيامة (ايشيفون ابن العبري ٦٥ و٦٦) وحوت اشحية السريان الموارنة ايضاً اياتاً شتى من هذه القوانين (اطلب الاشحية المطبوعة عام ١٨٨٥ صفحة ٣ و٥٩ و١١٣ و١٨٠ و١٨٨ و٢٤٩ و٢٥٨ و٢٣٠ الخ).

١) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، تأليف الادب الفاضل حبيب زيّات الدمشقي الرومي الملكي ١١٧ و١١٨

ان السريانية ، وليس اليونانية ، كانت لغة الملكيين الطقسية. وقد احصينا نحن من تلك الاسفار القيمة التي تردان بها مكاتب الڤاتيكان، ولندن ، وباريس ، واكسفرد ، وبرلين ، وكمبردج ، ودير الشرفة ، وبكركي ، والبطريركية السريانية ، والمكتبة الظرازية الخصوصية ، ومكاتب المطرانيات السريانية بدمشق وحلب وماردين وديار بكر والموصل الخ ، فبلغت نيفاً وخمسمائة مخطوط اشتملت على صلوات طقوس السريان الملكيين . وتُعَدّ هذه التركة الثمينة اول مرجع يُستَنَد اليه للوقوف على احوال تلك الطقوس وتقلباتها. وقد اعتمدنا عليها في درسنا هذا الذي حصرناه في ستة ابحاث : ١ً الكتاب المقدس. ٢ً الليترجية ، اعني طقس القداس. ٣ً الطقوس والرتب. ٤ً الصلوات القانونية. ٥ً الاشحيم. ٦ً الكلندار.

١ً الكتاب المقدس

يستحق السريان الملكيون كل ثناء وشكر لانهم ، على تقربهم من اليونان وكلفهم باللسان اليوناني ، حرصوا كل الحرص في طقوسهم ، خلافاً للسريان المنوفيزيتيين ، على نص الكتاب المقدس السرياني المعروف بعنوان « ܦܫܝܛܬܐ صورة الكتاب » ، والمنقول في القرن الثاني عن النص العبراني وقد أطلق عليه منذ القرن التاسع او العاشر عنوان « ܦܫܝܛܬܐ البسيطة ». ومنه في مكتبة لندن خمس نسخ[1] ، مكتوبة منذ السنة ٤٥٠ م ، ونسخة في المكتبة الڤاتيكانية مكتوبة في السنة ٥٤٨ م ، ونسخة في فلورنسا مكتوبة في السنة ٥٨٦ . وقد احصى الاب پولان مرتان خماً وخمسين نسخة سريانية سطرنجيلية من هذا الكتاب الثمين مكتوبة في القرن الخامس والسادس والسابع يقابلها ٢٢ نسخة لاتينية و١٠ نسخ فقط يونانية[2] . ودع الدياطسرون السرياني[3] الذي انشأه ططيان الآثوري في الرها في اواسط القرن الثاني . وقد شرحه مار افرام واستعملته كنائس المشرق حتى القرن الخامس ، فأحرقه زينون ،

١) موسومة بالارقام ١٤٤٥٩ و١٧١١٧ و١٤٤٥٣ و١٤٤٧٦ و١٤٤٨٠

٢) معجم الكتاب المقدس، تأليف ڤيگورو ١٣٢ و١٣٣

٣) اوسابيوس ٤ : ٢٥

اسقف الرها ، وأتلف مذهب ثاودريط ، اسقف قورش ، نيفاً ومائتي نسخة . وهكذا ضاع اصله السرياني وبقيت ترجمته في اليونانية والارمنية والعربية.

على ان مكاتب عواصم اوربة قد صانت من النسخة ܦܫܝܛܬܐ البسيطة ، نسخاً جمة منظمة طبقاً للطقس الملكي ، اقدمها مخطوط لندن ١٤٤٨٨ ، وقد نسخه عام ٨٢٣ م ، القس يوحنا في بيعة مار ايليا النبي بمدينة الله انطاكية[1] . ثم مخطوطة لندن ايضاً ١٤٤٨٩ ، وقد نسخها عام ١٠٤٦ م ، يوحنا الدوقي في دير مار ايليا بجبل الاسود[2]. ثم مخطوط الفاتيكان ٢١ ، المنسوخ عام ١٠٤٢م ، بيد القس جبرائيل الحبيس في برج مار ديط بجانب هيكل الجمعة في مدينة الله انطاكية[3]. وهذا المصحف النفيس يحوي ، طبقاً للطقس السرياني الملكي ، فصولاً من اعمال الرسل ورسائل مار بولس للسنة كلها بدءاً من احد الفصح . وقد ضمَّ اليه الناسخ طقوساً شتى وملاحظات ذات شأن عظيم تبرهن على ان السريان الملكيين كانوا يستعملونها في صميم انطاكية نفسها. منها قوله ما شرحه عن السريانية : « في الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة ينطلقون الى بيعة والدة الله »[4]. ومنها قوله في احتفالات السبت العظيم : « وفي جميع الكنائس يقال هذا المزمور بدلاً من الهلال ما عدا بسلموس طر داويد. اما في الكنيسة

١) ܟܬܒܗ̇ ܝܘܚܢܢ ܘܐܫܬܠܡܬ، ܩܫܝܫܐ ܒܥܕܬܐ ܕܡܪܝ ܐܠܝܐ ܢܒܝܐ ܒܡܕܝܢܬ ܐܠܗܐ ܐܢܛܝܘܟܝܐ.. ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܡܐܐ ܘܬܠܬܝܢ ܘܐܪܒܥܐ ܡܢ ܫܢܝ̈ܐ ܕܐܠܟܣܢܕܪ ١١٣٤ — ٨٢٣ م

٢) ܐܫܬܠܡܬ . . . ܫܢܬ ܐܠܦ ܘܬܠܬܡܐܐ ܘܚܡܫܝܢ ܘܫܒܥ ܒܝܘܡܝ̈ܐ ܡܒܪ̈ܟܐ ١٣٥٧ — ١٠٤٦ م ܒܕܝܪܐ . . . ܕܡܪܝ. ܐܠܝܐ ܒܛܘܪܐ ܐܘܟܡܐ. . .ܟܬܒܗ ܝܘܚܢܢ. . .ܕܘܩܝܣܐ .

٣) ܐܬܟܬܒ ܠܗܢܐ ܟܬܒܐ . . . ܒܝܕ ܓܒܪܐܝܠ . . . ܡܫܝܚܝܐ ܘܚܒܝܫܐ ܒܡܓܕܠܐ ܕܡܪܝ ܕܝܛ ܥܠ ܓܒ ܗܝܟܠܐ ܕܥܪܘܒܬܐ ܒܡܕܝܢܬ ܐܠܗܐ ܐܢܛܝܘܟܝܐ .

٤) ܘܒܫܥܬ ܫܬ ܐܙܠܝܢ ܠܒܥܕܬܐ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ .

الكبرى القاتوليقي فيقال بسلوس طو داويد. ويكملون القداس »[1].

فهذه التعريفة الصريحة تبرهن ، بالقلم العريض ، عن الحقيقة التاريخية الراهنة ، وهي انه في جميع كنائس انطاكية ، حتى في كنيستها الكبرى القاتوليقية التي كان يؤمها سريان وطنيون ويونان وروم وغرباء ، كانت الليترجية تُستعمل بالسريانية ، لا باليونانية . غير ان الشماس كان ينادي بعبارات يونانية يردفها شماس ثانٍ بعبارات سريانية كي يفهمها جميع الحاضرين ويقوموا بوجبها . اما سائر كنائس انطاكية[2] ، فلم تكن في حاجة الى شماس ينادي ببعض عبارات يونانية ، لان الطقوس باجمعها كانت تمارَس فيها بالسريانية فقط .

على ان كنيسة قاتوليقية ككنيسة انطاكية هذه كان لها امثال في غيرها من المدن الكبرى كدمشق ، والرها ، والرقة . يؤيد ذلك ما كتبه لعازر برسبتا ، اسقف بغداد في القرن التاسع في « تنقيح القداس السرياني » اذ قال : « يُتلى المزمور ١١٨ في بعض الكنائس القاتوليقية المقدسة ببلاد المغرب[3] » ، اعني في سورية ، وبعض بلاد ما بين النهرين . وكتب سعيد بن بطريق (٢ : ٨٣) « ان المسلمين ثاروا في دمشق فهدموا كنيسة مرتمريم الكاثوليكية ، وكانت عظيمة كبيرة حسنة أُنفق فيها مائتي الف دينار » . وكتب ابن العبري ، في تاريخه البيعي ، ان ديونيسيوس التلمحري نُصب بطريركاً (٨١٨—٨٤٥) في الكنيسة القاتوليقية بمدينة الرقة . وذكر مخطوط لندن ١٤٥١٩ في ١٢ ايلول « عيد تجديد

---

١) ܘܒܥܠܡܝܢ ܒܥܕܬܐ ܡܬܐܡܪܗܘܐ ܣܘܪܝܐ ܫܠܟ ܩܘܠܠܐ ܟܠ ܕ ܡܢ ܦܣܠܡܘܣ ܛܘ ܕܘܝܕ . ܘܒܥܕܬܐ ܪܒܬܐ ܩܬܘܠܝܩ ܡܬܐܡܪ ܦܣܠܡܘܣ ܛܘ ܕܘܝܕ ܘܡܫܡܠܝܢ ܒܩܘܕܫܐ .

٢) كان للسريان المونوفيزيتيين في قلب انطاكية عينها اربع كنائس . وكنيسة في جبلة ، وكنيسة في اللاذقية ، وكنيسة في طرابلس (ابن العبري التاريخ المدني السرياني ١٨٤ و٢٢٩) ، وميخائيل الكبير ٦٤٦

٣) ܒܒܥܕܝܟ ܕܝܟ ܡܢ ܥܕܬܐ ܩܬܘܠܝܩܝ ܩܕܝܫܬܐ ܘܡܥܪܒܝܬܐ ܕܡܥܪܒܝܐ ... ܠܡܙܡܘܪܐ ܗܘ ܕܛܘܒܝܗܘܢ ... ܡܬܩܪܐ .
مخطوطة دير الشرفة ٤ — ١ ، صفحة ٥٤٤

او تدشين البيعة المقدسة القاتوليقية ».

هذا ، وما عدا ما ذكرناه من مصاحف العهد الجديد السريانية المختصة بالملكيين ، فقد حوت نسخاً منه مكاتب لندن ، والڤاتيكان ، وباريس ، وبعض مكاتب الشرق . ومما يبرهن على شديد تمسك السريان الملكيين بالنسخة البسيطة انهم اثبتوا في كلنداريهم ، وفقاً لها ، ذكرًا للسبعين رسولاً (لو ١٠ : ١) في ٤ كانون الثاني ، ولم يثبتوهم اثنين وسبعين طبقاً للنسخة اليونانية . وعلاوة على ذلك كله ، فقد اعتبروا تلك النسخة السريانية اعتباراً عظيماً ، حتى انهم حرّجوا على الشماس خادم القداس ان يقول في آخر الصلاة الربية العبارة التي خصت بها الترجمة السريانية خلافاً لسائر الترجمات وهي : « لان لك الملك والقوة والمجد الى ابد الآبدين » (متى ٦ : ١٣) فقرّروا ان لا يرتلها الا الاسقف او الكاهن المقدّس .

٢ً الليترجية اي طقس القداس

اول الليترجيات واقدمها عهداً ، على ما قرّر اغلب الكتبة البيعيين ، هي ليترجية مار يعقوب الرسول التي استعملتها ، اول بدء ، الكنيسة الاورشليمية ، فالكنيسة الانطاكية ، بلغتها السريانية الاصلية . ولا تقلّ عنها قدماً واعتباراً ليترجية مار بطرس (حمدو) التي خصّت بها الكنيسة السريانية المارونية . ثم ليترجية الرسل التي امتاز بها السريان الشرقيون . فهذه الليترجيات السريانيات الثلاث ذاعت وشاعت في كنائس السريان قاطبةً ولم تكن تشتمل في اول وضعها على لفظة او عبارة واحدة يونانية اصلاً بيد انه ، مع تمادي الزمان ، وانضمام اقطاب الشعب الى حظيرة الايمان ، استحسن الآباء ان يدخلوا في ليترجيتي مار يعقوب ومار بطرس ، لا في ليترجية الرسل ، بعض عبارات او الفاظ يونانية حتموا ان لا ينادي بها الا الشماس مشفوعةً بشرحها بالسريانية . ذلك تنبيهاً للمؤمنين الحاضرين كي يصغوا او يتفرا او يجلسوا او يخرجوا . ولهذا السبب بقيت تلك العبارات اليونانية الدخيلة مكتوبة بحروف سريانية مع اصلها السرياني في الليترجيتين المشار اليهما . فحفظ السريان منها عبارتي « فلنقف

حسنا يا رب ارحم »[1] ، و « لنصغ بحكمة الله »[2]. وحفظ الموارنة منهما لفظتي « توريالیسون » و « بروديقي » ، وهي ، اعني بروديقي ، مناداة يقولها الشماس الماروني وقت تجزئة القربانة المقدسة.

على هذا النزاع واصلت الكنائس الشرقية ، الكبرى والصغرى الكاثوليكية والخصوصية ، استعمال الليترجية السريانية حتى عهد الانفصال . غير ان الصحف القديمة لم تصن من هذا القبيل الا النزر اليسير. ذلك لان الرسل ، على ما كتب ديونوسيوس الاريوفاغي الكبير ، لم يستصوبوا في اوائل الكنيسة ان يكتبوا على قرطاس كتاباً خصوصيا في رتب القداس او السيامات او الميرون. بل كانوا يلقنون القديسين ذلك شفاهاً[3] . وافادنا مار باسيليوس[4] ان الليترجية لم تكن تُكتب على الرق ، بل كان الكهنة يقرأونها على ظهر قلبهم . ولهذا السبب لا يُعرَف شيء عن الليترجية القديمة التي استعملها السريان الملكيون[5] ، قبل اتخاذهم ليترجيتي مار الذهب ، وباسيليوس ، ونقلهم اياها الى السريانية في عهد البطريرك ثاودوس بلسمون (†١١٩٥) الذي امر كنائس البطريركية الانطاكية ان تستعملها في السريانية ، بدلاً من الليترجية القديمة ، محتجاً في ذلك بان جميع كنائس العالم يلزمها ان تتبع في طقسها كنيسة بوزنطية ، وتحذو حذوها في كل شيء.[6]

---

١) ܗܘ ܪܚܡ ܥܠܢ ܐܠܗܐ ܐܒܐ ܟܠ ܫܠܛܢ . ومن الغريب ان السريان الملكيين ، لما نقلوا هذا اللفظ الى العربية ، نقلوه مترجماً فقالوا « يا رب ارحم » ولم يقولوا « قوريالیسون » . (الاب كوتيريه ٢ : ٢٨ و ٤١ ا ح) .

٢) ܒܚܟܡܬܐ ܢܩܒܠ ܡܢ ܩܕܡ ܐܠܗܐ وهذه عبارة « پروسخومن » يستعملها الشماس الارمني ايضاً في القداس .

٣) ܠܐ ܡܫܟܚ ܕܚܘܕܐ ܒܥܠܡܐ ... ܐܠܐ ... ܡܢ ܩܕܡ ܚܠܦܝ ܩܕܝܫܐ ܠܡܬܥܐ (خطوط الشرقة ٦ – ١ ، صفحة ٤٢٧) .

٤) النصارى ٥٥

٥) قبل ان الملكيين كانوا يستعملون ليترجية مار افرام . *Patrologia Orientalis*. 4. 1907. p. 295

٦) النصارى ٥١ و٤٩

غير انه ، على هذا الضغط الشديد وعلى ما انتاب المصاحف السريانية من النوائل كما قلنا ، فقد صان مخطوط الواتكان رقم ٤١ ليترجيتي م اندمب ، وباسيليوس ، باللغة السريانية طبقاً لاستعمال السريان الملكيين . ففي الصفحة ١٨ من هذا الاثر النفيس يُقرأ ما يلزم الشماس اليوناني ، فالشماس السرياني ، ان ينادیا به اثناء القداس كي يفهم الحاضرون قاطبةً ما يقال وما يجب ان يصنعوا . من ذلك قوله : ينادي الشماس اليوناني : ܐܓܐ ܦܝܣܘܡܝܢ ܐܠܠܝܠܘܣ[1] . وينادي الشماس السرياني ܢܫܩ ܠܚܒܪܗ ܒܢܘܫܩܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ، اي فليقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة . ومن ذلك قوله ايضاً : ينادي الشماس اليوناني : ܣܛܘܡܝܢ ܟܐܠܘܣ ܣܛܘܡܝܢ ܡܝܛܐ ܦܘܒܘ ܦܪܘܣܟܘܡܝܢ . ܛܝܢ ܐܓܝܐܢ ܐܢܐܦܘܪܐܢ ܐܢ ܐܝܪܝܢܝ ܦܪܘܣܦܝܪܝܢ . وينادي الشماس السرياني : ܢܩܘܡ ܫܦܝܪ . ܢܩܘܡ ܒܕܚܠܬܐ . ܘܢܚܘܪ ܗܘܝܢ ܒܩܘܪܒܢܐ ܩܕܝܫܬܐ . ܒܫܝܢܐ ܠܐܠܗܐ ܡܬܩܪܒܐ . اعني : فلنقف حسناً . فلنقف بورع . ونحدّق عقولنا في التقدمة المقدسة . بالامن لله تُقرّب . الخ

فهذا كله يصرح جلياً بان القداس في انطاكية عينها ما كان يُحتفل به الا بالسريانية فقط . اما بعض الالفاظ اليونانية فكانت مختصة بالشماس دون مَن سواه . . بيد ان العادات تطوّرت رويداً رويداً حتى غدت السريانية في طقس الملكيين كجامة ترفّ في كنائسهم واديارهم ومدارسهم بين رفع وخفض ، وتتنقل من حال الى حال يناهضها ملوك اليونان ، فالغرب ، ويرشقها اساقفة بوزنطية في إجحافها ، يجاريهم في ذلك بطاركة انطاكية حتى القرن السابع عشر ، فألجئوا ان ينقلوا ليترجيتهم المومأ اليهما عن السريانية الى العربية . ومما يبرهن على امانتهم في النقل ابقاؤهم فيهما الفاظاً سريانية ، واثباتهم فيهما الكلمات الجوهرية باصلها السرياني . ثم بنقلها العربي . وقد شاهدنا مثل ذلك في مخطوط البطريركية السريانية المنسوخ عام ١٦٤٣ م[2] ، وفي مخطوط المطرانية السريانية

---

١) لاحظ ان الناسخ الملكي لم يكتب هذه الكلمات وما بعدها بحروف يونانية بل بحروف سريانية .

٢) مجلة الآثار الشرقية ٣ : ٦٠ .

بدمشق المنسوخ عام ١٦٣٧ م ، على هذا الشكل : (انظر الرسم)

« نشكر وبارك وقدّس وكسر واعطا تلاميذه القديسين قائلًا :

« خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور من اجلكم لمغفرة الخطايا.

...

« اشربوا منه كلكم هذا هو دمي العهد الجديد المهراق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا.

...

« من الذي لك نقدّم لك على كل شيء ومن اجل كل شيء » (٢).

« ܗܘ ܕܢ ܗܘ ܓܫܡܝ ܕܐܢܐ ܗܘ ܕܡܝ ܕܐܬܪܩ ܥܠ ܟܘܢ ܘܥܠ ܣܓܝܐܢ ܠܡܚܘܠܬܐ ܠܚܛܗܐ

ܗܕܐ ܗܘ ܕܡܝ ܕܩܝܡܬܐ ܚܕܬܬܐ ܕܐܬܪܩ ܥܠ ܟܘܢ ܘܥܠ ܣܓܝܐܢ ܠܡܚܘܠܬܐ ܠܚܛܗܐ

...

« ܡܢ ܗܘ ܕܠܟ ܠܟ ܢܩܪܒ ܠܟ ܥܠ ܟܠ ܡܕܡ ܘܡܢ ܛܘܠ ܕܟܠ ܡܕܡ ».

٣ً الطقوس والرتب

مرادنا بالطقوس ١ً جميع ما يمارسه كاهن الرعية من الاحتفالات حين توزيعه الاسرار على المؤمنين . ٢ً ما يُحتفل به من الرتب الكهنوتية اعني السيامات. ٣ً طقوس المواسم الشهيرة . فقد ضمت مكاتب اوربة وبعض مكاتب الشرق من هذا الصنف مصاحف شتى كلها بالسريانية . اهما مخطوطا

١) المعروف اليوم ان يقال ܩܘܕܫ ܩܘܕܫ ܠܟ . ولعل السريان الملكيين كانوا يستعملون الامر بالضم مثل ܩܘܕܫ .

٢) اشكل على المترجمين الملكيين تعريب هذه العبارة السريانية . فقد ترجمها بعضهم كما اثبتناها في المتن . وعرّبها بعضهم هكذا : « التي لك مما لك نقدّمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء » . وقرأناها في الليترجية التي نشرها عام ١٩١٣ الاب الكسيوس شتوي هكذا : «فالتي للثمن التي لك نقدّم لك عن كل شيء ومن اجل كل شيء» . وهي ترجمة مضطربة فيما نرى. والصواب ان تعرّب طبقًا لنصها السرياني هكذا: «مما لك نقرّب لك عوضًا عن الكل ولاجل الكلّ » . ويقابلها في ليترجيتَي مار يعقوب والرسل السريانيتين : « ܡܢ ܗܘ ܕܠܟ ܠܟ ܢܩܪܒ ܠܟ ܥܠ ܟܠ ܡܕܡ ܘܡܢ ܛܘܠ ܕܟܠ ܡܕܡ » . ويكون المراد منها على ما شرحه موسى بركيفا (ت ٩٠٣) وغيره: اننا نشكرك على كل نعمك ومن اجل كل شعبك . او « مما لك نقرب لك عوضًا عن كل نعمك ولاجل كل شعبك ».

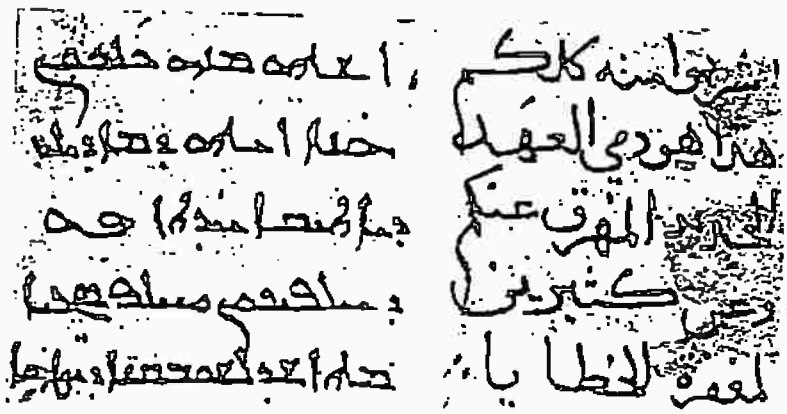

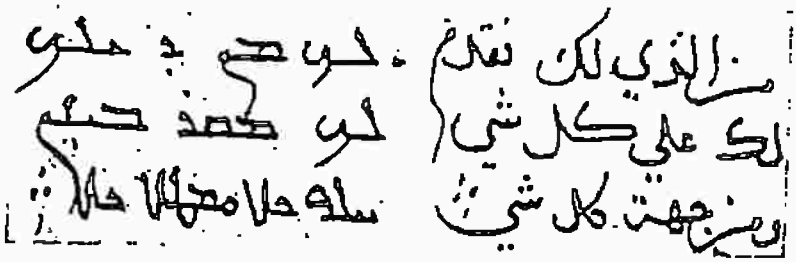

باريس ١٠٠ و١٠١ اللذان حويا طقوس المعموذية ، والميرون (التثبيت) ، والخطبة ، وتكليل العروسين ، والقنديل ، والسجدة . وحوى مخطوط برلين ٣١٧ طقس الجنائز ، وصلوات الزيجة الثانية والثالثة ، والصلاة على من يخطأ ، ويقدّم التوبة الخ . وانطوى مخطوط الڤاتيكان ٤٠ ، ما عدا ما ذكرنا على طقوس السيامات باجمعها .

وقد اطّلعنا في الخزانة الطرّازية الخصوصية على مخطوط سرياني ملكي نفيس تضمّن صلوات ورتباً طبقاً لاستعمال الملكيين مذ ليلة احد الشعن[1] حتى احد القيامة أثبت ناسخه ، في الصفحة ٢٩ ، رتبة الغسل وفصل الانجيل (يو١٣ : ٤ — ٥) حسب النسخة البسيطة ، وكتب في خلال اسطرها هذه العبارات : « والرئيس يكون منتصب . ينزع ثيابه ويتزر بمنشفة . في وسطه . وصب الماء في المغسل . يبدأ يغسل ارجل تلاميذه . وينشفها بالمئزر الذي ائتزر به » . (انظر الرسم ١) .

ولا بأس ان نشير ههنا الى طقس الاحتفال بدخول الاسقف الى المدينة . فقد أثبت فيه الكاتب عدّة عبارات يتلوها الشماس باليونانية ويردفها شماس ثانٍ بالسريانية ليفهم الحاضرون ما ينبغي ان يصنعوه[2] .

٦ الصلوات القانونية

كان للاكليروس السرياني الملكي عدّة كتب تشتمل على الصلوات القانونية اخصها « التريوذي » و « الميناون » و « الكلوغوديون » . فمن التريوذي ثلاث نسخ في المكتبة الڤاتيكانية تحت الارقام ٧٤ — ٧٦ ، واربع نسخ في مكتبة اوكسفرد تحت الارقام ٨٤—٨٧ ، ونسختان في برلين رقم ٣٠٩ و٣١٠ ، وتحوي منه مكتبتا لندن وباريس عدة نسخ ايضاً .

اما كتاب الميناون فمنه اكثر من عشرين نسخة في مكتبة اوكسفرد ،

---

١) لسنا ندري متى دخل لفظ « اوصنّا » اليوناني في الكنائس الشرقية . وهما هوذا السريان الملكيون انفسهم يثبتونه بالثين والعين طبقاً لوضعه العبراني والسرياني ويقولون « اوشعنا » لا « اوصنّا » و « الشعن » لا « المنّ » .

٢) المقتطفات السريانية ٣ : ١

وعشر نسخ في مكتبة باريس ، وخمس نسخ في مكتبة كمبردج ، ونسخة في المكتبة الڤاتيكانية مكتوبة عام ١٢٠٦ م ، ونسخة في برلين الخ . وقد طالعنا من هذا الكتاب نسخة ثمينة قديمة في المكتبة الطرازية الخصوصية تحوي الصلوات الفرضية لآحاد القيامة والايام التي تتخللها . فألفينا فيها قوانين شتّى مدرّجة في صلواتنا القانونية ، وابياتاً جمّة من تآليف القديس رابولا اسقف الرها († ٤٥٣) استنتجنا منها ان السريان الملكيين ادمجوا في كتبهم ابتهالات (ܬܫܒܚܬܐ) هذا الملفان الجليل قبل عهد الانفصال . وقد رأينا تأييداً لذلك ان نورد شيئاً منها نقلاً عن هذا المخطوط النفيس المشتمل على ٦٩٢ صفحة كبيرة .

من ذلك ما نراه في الصفحة ٢٠ وهو : « ܐܝܟ ܕܐܢܫ ܠܚܣܝܪ ܒܚܠܩܗ ... ان كان البارّ بالجهد يخلص » (١ بطرس ٤ : ١٨) وفي الصفحة ٢٨ : « ܫܠܡ ܠܟ ܡܢ ܟܠ ... السلام لكِ من الجميع ايتها القديسة » . وفي الصفحة ٦١ و ٢٤٥ : « ܒܐܡܬ ܗܘ ܕܟܠ ܒܛܠܐ ... في الحقيقة ان كل ما في العالم باطل » وفي الصفحة ١٨٩ : « ... ܟܕ ܐܬܓܠܝ ܠܟ ... متى انكشفت اعمالكِ في الآخرة » (انظر الرسم ٢) . وفي الصفحة ٢٨١ : « ܐܡܝܢ ܕܐܬ ... ايتها الام النقية كما اعتدتِ »[1] . (انظر الرسم ٣) وفي الصفحة ٤٧ وغيرها : « ... مع جميع قديسيك نيّح ايها المسيح ارواح عبيدك »[2] الخ .

اما كتاب الكاوغوديون فمنه نسخة في لندن مكتوبة في السنة ١٢٨٤ م ، رقمها ٤٠٨ ، ويضاف الى ذلك كتاب البركليني ، ومنه نسخة في المكتبة الواتيكانية رقمها ٧٦ ؛ وفي المكتبة عينها كتاب الساعات « السواعية » . فجميع هذه المخطوطات مكتوبة في السريانية . يتخللها ملاحظات في السريانية احياناً ، واحياناً في العربية . وليس فيها حرف يوناني بتّة .

---

١) هذا الابتهال يستعمله السريان الموارنة ايضاً في القداس وهو : « صلاتكِ منا يا اطهر العباد » الخ .

٢) اطلب سواعية الشوبر ، ٢٥١ و ٥٧٦ الخ .

ثم يبدأ الكاهن بقراءة الإنجيل

الغسل وهو من يوحنا

والريش يكون منتصب يتزع

ثيابه ويترر منشف في

وينطرح ويصب الماء الغسل

ويبدأ بغسل أرجل تلاميذه

ومنشفها بالمئزر الذي اتزر به

ويكونوا اثنا عشر غير ويبدوا

من البواب إلى الأقلوم إلى

الأكليريشيا رشي فإن هكذا

يجب من الأصاغر إلى الأكابر.

ويكون الريس منتصب يعمل

كما يحويه هذا الفصل حرف حرف

وكلما يوجد من الماء

يغتسلهم ما قال. أخذ له معلم

إله هذا ما قال لهم معلمنا

لم أخذ له معلم. الماء هذا

لم تغسل لي لم تحصل

الرسم الأول

حتى الماء والدم ومعتنى

لخلاصهم بجد معلمنا. الذي

عنه لهم حتى خلاص الحق

ومعنا صحيح حتى جوزه لم

معلمنا. جد معنا ومعنا

جد نعل. معنا لهم حتى

لهم الماء وأخذ معلمنا

جد أخذ لهم. عنه لهم الماء

حتى إليه له نحيل بهذه

الماء أخذ وحيل أمره ومجد

إلهم. لجد له لخلاصهم.

وما أمرهم إلهم معلمنا خلهم

بهذا صحيح وما أجتنى.

سلم صحيح. هذا الذي

معلمنا. جملهم جميع

إلهم أهل له. ولا أجد لم

جد جنعل. الأمر حتم

لأخلاصهم. للماء ونزل

حتى له. ونقص معه إذ

يقعد وحل له خلاصنا ما ملتنا

لهذا جاء: معلمنا معلمنا

هو حمل ويتم وحي لجل حي وه

حتى له. وإذا ما أسلم

الرسم الثالث

الرسم الثاني

الرسم الثاني

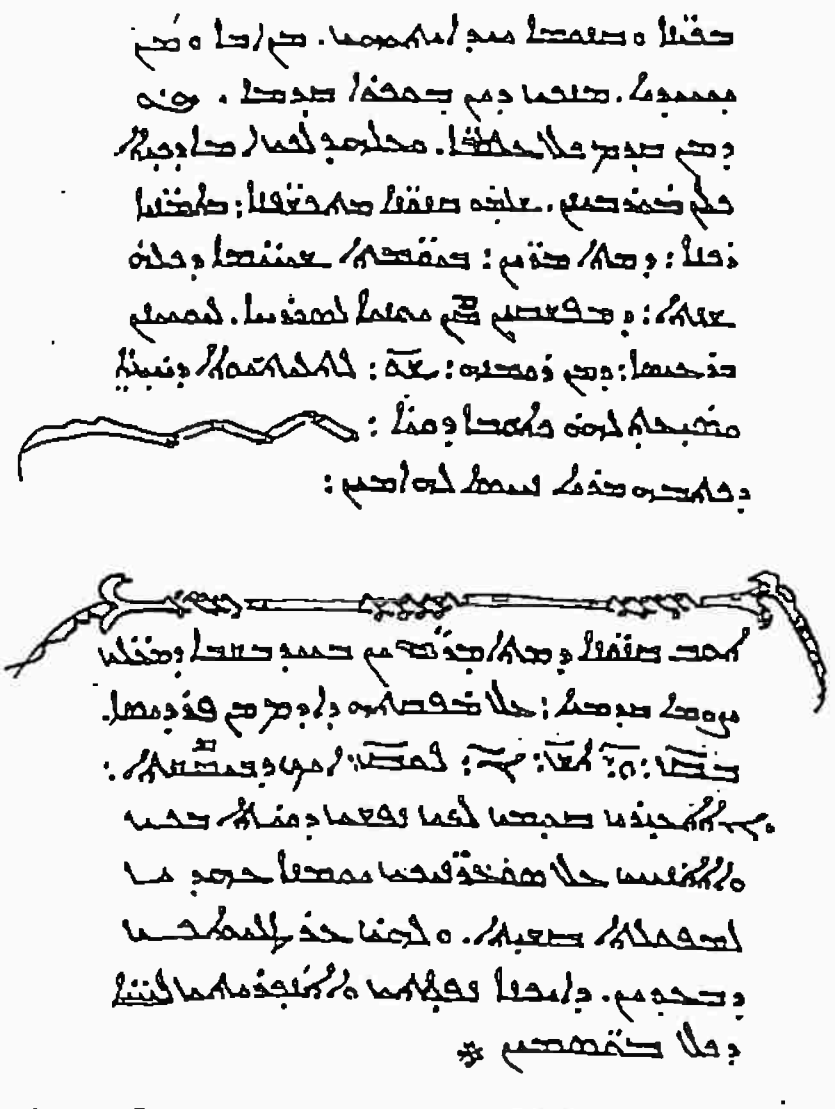

٥ً الاشحيم

الاشحيم ܐܫܚܝܡ او ܐܫܬܚܘܬܐ ، اعني الاعتيادي ، عنوانٌ لكتاب الفرض اليومي عند الملل السريانية الثلاث اي المارونية ، والكلدانية ، والسريانية . وقد عرفه السريان الملكيون ايضاً بهذا العنوان نفسه ، قبل ان يطلقوا عليه في العصور الاخيرة كتاب« الساعية ». ومن الاشحيم الملكي نسخٌ في خزائن عواصم اوربة . منها نسخة في لندن رقمها ٤١٨ وتاريخها في السنة ١٥٢٤ — ١٢١٣ م. وقد طالعنا نحن من هذا الصنف نسخة جليلة ثمينة كاملة تخصّ القيكنت فيليب دي طرّازي الفاضل . وهي من فاتحتها الى خاتمتها لا تحوي لفظةً واحدةً يونانية او عربية قطعاً . وهذا عنوانها معرّباً : « بقوّة ربّنا يسوع المسيح نبتدئ نسخ كتاب القوانين التي تقال في الايام الاشحيمية في السنة كلها حسب طقس الروم »[1].

فهذا الاشحيم السرياني الملكي الضخم تضمّن الصلوات اليومية لثمانية اسابيع منظّمة وفقاً للثماني النغمات . خُصص يوم الاثنين بالتوبة والملائكة ، والثلاثا. بيوحنا المعمدان ، والاربعا. بوالدة الله ، والخميس بالرسل ، والجمعة بالصليب والشهدا. ، والسبت بالشهدا. والموتى الخ . وأثبت ناقلها عن اليونانية الى السريانية اسمه في آخر الكتاب هكذا معرّباً :« انتهت القوانين الابتهالية بثماني نغمات . تقال في الايام الاشحيمية في السنة كلها . نقلها من اليوناني الى السرياني يوحنا بن عيسى من رومنة »[2].

---

١) ܗܕܐ ܣܠܩ ܡܢ ܩܢܝܢܐ ܕܐܫܚܝܡ ܕܐܬܩܪܝ ܒܝܘܢܝ ܐܦ ܒܣܘܪܝܝܐ ܕܐܬܩܠ ܥܠ ܫܡܢ ܬܫܥ ܢܓܡܐ ܕܒܗ ܐܫܬܡܥ ܟܠ ܫܒܬ (انظر الرسم ٤)

٢) ܫܠܡ ܩܢܝܢܐ ܕܐܫܚܝܡ ܕܐܬܩܪܝ ܐܦ : ܕܐܬܩܠ ܥܠ ܫܡܢ ܬܫܥ ܢܓܡܐ : ܕܐܬܥܒܕ ܒܝ ܫܡܥܘܢ ܒܪ ܚܝܐ (انظر الرسم ٥) . وقد اثبت ايضاً مخطوط الواتيكان ٧٤ اسم الفس يوحنا بن عيسى من مدينة رومنة . وقس عليه مخطوط برلين ٢١٠ ، لكننا لا ندري متى عاش هذا الناقل الجليل . اما رومنة فقد ورد ذكرها في

واخيرًا ورد في هذا الاشحيم عينه بالعربية ما نصه:-

« وكاتبه العبد الخاطئ المسكين الحقير الذي ما يستاهل ينظر الى علو السماء ولا يمشي على الارض من كثرة خطاياه لا باسم ولا بفعل يوسف باسم شماس ابن القس يوحنا ابن القس ضويط من قرية الكفور من جبل لبنان من اقليم طرابلس والشام . غفر الرب له ولوالديه خطاياهم بشفاعة الست السيدة ام النور وجميع القديسين امين يا رب العالمين . بتاريخ سنة سنة الاف وثمانية تسعة وثمانين لابونا آدم عليه السلام » (١٦٨١ م) (انظر الرسم ٦).

٦ الكلندار

انشأت البطريركية الانطاكية كلندارًا للاعياد والتذكارات والاصوام الزمت التقيُّد بها في جميع ابرشياتها . واول كلندار سرياني عرفناه يرتقي عهد نسخه الى السنة (٧٢٣—١١٢٣م)[1] ، وقد تمشى السريان قاطبةً بوجهه حتى القرن الحادي عشر . وهو يبدأ ، طبقًا للوضع القديم ، منذ اول تشرين الاول افتتاح السنة السريانية، لا منذ ايلول كما جرى عليه السريان الملكيون مجاراةً لليونان. قال البحّاثة كرلشكي (صفحة ٦٩١): « كان بدء السنة عند السريان الملكيين في تشرين الاول». ونشر المشرق في سنته الخامسة(١٩٠٢): « كلندار الكنيسة الانطاكية في القرن الحادي عشر » ، تأليف ابي ريحان محمد بن احمد البيروني († ١٠٤٩) ، افتتحه باول تشرين الاول وختمه في ايلول بقوله : « في اول ايلول عيد اكليل السنة وفيه يصلّون ويدعون بختم السنة وافتتاح الاخرى الجديدة لان اختتام السنة يكون بهذا الشهر ».

واشتمل الكلندار السرياني الملكي على تذكارات شهداء وملافنة وابرار اشتهروا في الكنيسة السريانية خصوصًا. منها في ٧ تشرين الاول ذكر سرجيس وباخس المستشهدَين في الرصافة. وفي ٢٩ منه ابرهيم القيدوني الناسك († ٣٦٦). وفي ١٥ تشرين الثاني شمونا وغوريا وحبيب[2] († ٢٩٧) شهداء الرها. وفي ٢٧

مخطوط لندن ٤٠٨ المنسوخ عام ١٢٨٤ م ، صفحة ٢٣٠ هكذا: « كتبه جراسمه ابن سمان من قرية الرمانة من عمل الزبداني من اقليم دمشق » . ونبه القارئ ان السريان المونوفيزيتيين كان لهم في رومة اسقف ودير (ميخائيل الكبير ٢٦٨ عدد ٤٤و٥٠)

١) مخطوط لندن ١٤١٥٠

٢) قرأنا في كلندار الكنيسة الملكية الحديث وفي الكلندار الملحق بكتاب الانجيل، طبع الآباء اليسوعيين، اسم « افيتيوس » بدلًا من « حبيب» وهو تحريف ينبغي اصلاحه .

منه يعقوب المقطّع († ٤٢١) الفارسي . وفي ٤ كانون الثاني ذكر جامع التسعين رسولاً[1] . وفي ٢٨ كانون الثاني ، او في ١ شباط ، افريم المعلم ومار يعقوب . وفي ٤ اذار و٢٩ ايار عيد مار اسحق[2] ، وفي ٧ او ٩ آب ربولا الاسقف . وفي ٢٦ منه سابا الراهب الشيخ الهرم[3] الخ .

وانطوى كلندار السريان الملكيين على تذكارات مختصة بهم فقط . منها تذكارات الانبياء واحداً فواحداً ومجملاً . ومنها في ٩ تموز تدشين كنيسة الفتيان الثلاثة حنانيا وعزريا وميشائل ، وتذكار والدة الله وردت فيه هذه التعريفة :

« في هذا اليوم ظهرت والدة الله عند ينبوع الماء في دفنا (بانطاكية) . ظهرت هناك للرسل بطرس وبولس لما حُملوا في سحابة من صهيون ام الكنائس وطُرحوا هناك عند ينبوع الماء بكورة انطاكية سوريا مدينة الله »[4] .

ومنها في ١٦ آب تذكار نقل صورة ربنا والهنا يسوع المسيح الغير المصنوعة بيد، من مدينة الرها[5] . ومنها تذكار الذخائر المقدسة في الاحد الثاني من الصوم، بدلاً من غريغور بالاماس . وتذكار زيارة العذراء يوم الجمعة التابع للفصح ، بدلاً من الفرض المزوَّر المعروف بفرض « العين الحيَّة »[6] .

تتمة

بقي ان نقول كلمة عما تفرَّد به السريان الملكيون، دون سائر السريان، من التعابير والاصطلاحات اللغوية والصرفية . من ذلك قولهم : « على الارز

---

١) لاحظ ان الملكيين يقرّرون ان تلاميذ الرب هم سبعون وفقاً للنسخة البسيطة ، كما اشرنا .

٢) مخطوط الواتيكان ٢١

٣) هو يوليان سابا صاحب دير القريتين (اطلب مقالتنا في المشرق ١٠ [١٩٠٧] ١١٥)

٤) مجلة الآثار الشرقية ٣ : ٢٥٨

٥) راجع ما كتبناه عن ثيودوسيوس الثاني بطريرك انطاكية (٩٣٦ — ٩٤٣) .

٦) كرلفسكي ٦٢٢

والشربين والصنوبر ارتفع المسيح رب الكل» [١] وقولهم : «فلنتقرّب نحن المؤمنين ايماننا كالارز ومحبتنا كالشربين ورجاءنا كالصنوبر البهي .» [٢] ومنها اعتقادهم الصحيح «بان عمنوئيل الواحد هو ذو أقنوم واحد وذو طبيعتين وارادتين وفعلين حقًّا وان والدته هي والدة الله .» [٣] ومنها هجومهم نسطور بقولهم : «فلتعمَ عينا نسطور وليُلطم وجهه لانه ابى ان يفهم ويعتقد بكونكِ والدة الله» [٤] الخ .

وامتاز الملكيون في الاصول الصرفية بصيغة افعال واثبات اسماء ونقاط لا اثر لها في سائر الكتابات السريانية . نذكر منها : ܦܠܛܘܣ . ܗܘܒ . ܚܘܒ . ܠܚܘܡ . بدلًا من ܦܠܛܣ . ܗܒ . ܐܚܘܒ . ܠܚܡ . ومنها زيادة يوذ في المتكلم الماضي والمضارع الغائب وفي بعض الفاظ نحو ܗܝܡܢܝܬ آمنت . و ܢܩܐܡ يقوم الخ و ܢܫܝܐ نساء . و ܠܫܢܝܐ ألسنة الخ . ومنها اضافة نقطتي الجمع الى الافعال والضمائر نحو ܡܠܟ̈ܘܗ . ܢܡܠ̈ܟܘܢ . ܗܢ̈ܘܢ . ܐܢ̈ܘܢ الخ . ومنها وضع الف في بعض الكلمات طبقًا للنصوص القديمة نحو ܐܡܕܒܪܢܘܬܐ . ܐܠܗܘܬܐ . ܐܡܫܝܚܘܬܐ الخ . ومنها تبديل حرف بحرف نحو ܡܪܡܝܘܬܐ ܒܪܘܦܘܬܐ بدلًا من ܡܪܡܝܘܬܐ ܒܪܘܒܘܬܐ . و ܡܘܪܘܦ او ܡܪܘܦ .

---

١) ܐܝܟ ܐܪܙܐ ܘܫܪܒܝܢܐ ܘܒܪܘܬܐ ܐܬܥܠܝ ܡܫܝܚܐ ܡܪܐ ܟܠ (النسخة الطرازية ٢٠١)

٢) ܒܗܝܡܢܘܬܢ ܐܝܟ ܐܪܙܐ ܠܡܫܝܚܐ ܢܩܪܒ ܡܗܝܡ̈ܢܐ . ܘܚܘܒܢ ܐܝܟ ܫܪܒܝܢܐ . ܘܐܝܟ ܒܪܘܬܐ ܫܦܝܪܬܐ ܣܒܪܢ ܕܫܠܡ (النسخة الطرازية ٢٦١)

٣) ܐܝܟ ܚܕ ܡܬܝܕܥ ܠܝ ܒܢܝ ܩܢܘܡܐ ܗܘ ܒܪܐ ܗܘ ܐܠܗܐ، ܐܠܗܐ ܡܫܝܚܐ ܗܘ ܒܟܝܢܘܗܝ . ܘܒܗ ܡܬܝܕܥܝܢ ܬܪܬܝܢ ܟܝܢܘܬܐ ܘܡܨܒܝܢܘܬܐ ܬܪܬܝܢ ܒܥܒܕܐ . ܘܝܠܕܬܗ ܫܪܝܪܐܝܬ ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ (فيا ١٧٦)

٤) ܢܣܡܝܢ ܥܝܢܘܗܝ ܘܢܬܡܚܐ ܐܦܘܗܝ ܕܗܘ ܢܣܛܘܪ ܕܠܐ ܨܒܐ ܕܢܣܬܟܠ ܘܢܗܘܐ ܒܟܝ ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ (فيا ٢٢١) .

و ⟨illegible⟩ بدلا من ⟨illegible⟩ . ⟨illegible⟩ بدلا من ⟨illegible⟩ الخ .

على ان السريان الملكيين ، لما اخذوا ، منذ القرن السابع عشر ، ينقلون الى العربية كتبهم الطقسية أبقوا فيها الفاظا سريانية بحتة ، تخليدا للتقاليد الابوية . فكتبوا : باعوث ، باكية ، برشان ، رشم ، زيح ، زياح ، روماز ، سبّة اي اسبوع ، ستار اي صلاة الغروب ، شماس ، اصحاح ، صابوت ، طوباني ، طوبانية ، طوباهم الذين بلا عيب ، طوباهم الذين يفحصون ، طوباكم ، عربون او رعبون ، عنّد ، معمذان ، معمودية ، فتقام اي آية من الكتاب ، قدّس ، قداس ، قدّاسات ، قسّيس ، كاهن ، كهنوت ، كوز ، كوازة ، كارز ، كاروز ، مار ، ماري ، مرقريم ، ميمر ، نيّح ، تنيّح ، نياحة ، نياح ، متنيّح ، هلال[1] . هذا كله ، ما عدا ما سبقنا فسردناه من الافعال والالفاظ السريانية التي نقلها العرب عن اساتذتهم السريان ، واصطلحوا عليها في كتاباتهم .

***

فهذه هي اللغة السريانية الجليلة التي استعملها السريان الملكيون قرونا عديدة في منازلهم ومجتمعاتهم وكنائسهم . واصطلحت عليها من قبلهم دول ذات صولة وعزّة وبسطة . وقدّسها السيد المسيح بتكلّمه بها ، هو وأمه المغبوطة . وشرّفها الرسل بكرازتهم وبولس طرس اقاموه في الكنيسة المسيحية في اورشليم اولا ، ثم في انطاكية وسائر بلاد المشرق . وزيّنها فحول الكتبة بجوائد تآليفهم ، وصيّروها مطلع اشعة الحضارة ومبعث الآداب الصحيحة . أفيسوغ اذا ان يُزدرى بلغة هكذا شريفة جميلة ، ويشوّه في العيون جبينها الوضّاح ، او يُقبّح حديثها في الاسماع حتى يُدّعى بكونها لغةً قروية او همجية او بربرية كما زعم بعض المتطرفين ؟

اننا على يقين من أن الأمة الرومية الملكية النبيلة تقدر لنا هذه الخدمة التي أدّيناها لها بكل اخلاص وامانة . بل نعتقد ان بحثنا هذا التاريخي والطقسي

١) نقلنا اغلب هذه الالفاظ عن كتاب « السواعية » المطبوع في الشوير .

يلاقي لدى اساطينها ومفكريها وعلمائها الافاضل ما يستحقه من الرضا والاستحسان لاننا لم نتحرَّ في كل ما سردناه الّا اثبات حقيقة تاريخية لا يستطيع من لـه إلمام باخبار الشرق والشرقيين الى انكارها سبيلًا . فضلًا عن اننا نقلنا ما نقلناه عن اصدق الصحف ، واوثق المصادر ، وحرَّطناه بحجج صادعة لا تحتمل تخريجاً ولا تقبل تأويلًا.

بعد هذا كله لا يسعنا الّا الثناء على ما افرغه البحّاثة المدقق الاب شارون كرلتسكي من الهمم والجهود في الدرس والتنقيب عن اصل السريان الملكيين، وعن لغتهم وطقسهم ، وعن بطاركتهم واساقفتهم وابرشياتهم ، مما نشره على صفحات «المشرق» ، او سجله في المعاجم الشهيرة. كما اننا نُـدي حميم الشكر لحضرة العلّامة الجليل السيد حبيب زيّات الذي كتب الشيء الكثير عن طائفته السريانية الملكية الكريمة ، وعن مكاتبها ، وأدبائها ، وعلومها . وقد كان لحضرته ، اعزّه الله ، اول دافع لنا للخوض في هذا الدرس الثمين . والسلام .